نـافـذة

القبول والرفض

السماء والأرض، الليل والنهار، الأسود والأبيض، ولدنا على هذه الأرض، كي يكون لنا الحق في الاختيار، وفي الوقت ذاته، المنطق يتحدث بأن ليس لنا الحق على الآخر في منعه مما يريد أن يختار، وهو يسير في حياته، فإذا حدث غير ذلك، وكانت هناك حلول للإكراه، كانت الشرارة الأولى لحدوث النزاعات الصامتة أو الناطقة، المثيرة والمقنعة، الصارخة والمأزومة، تتعالى وتتنامى لحظة حضور الحقّ والحاجة واستئثار الآخر بكليهما، وعدم قدرته على التفريط حتى بجزء يسير منها، العنف يتجلى دائماً عندما يصل السجال إلى العقم، أو ينحصر في عنق الزجاجة، فتعود الأسئلة البدائية، لتعوم على سطح الفكر الفقير للفكر، هل يتعارض العلم مع الدين؟ هذه العلاقة خضعت لجدل هائل عبر كل العصور، وفي اعتقادي أنه يستمر إلى ما سيأتي من الزمن، وبشكل خاص ضمن المجتمعات الروحية التي تعتبر العلم نقيضها، على حين أنّ الدخول إلى جوهر العلم يؤدي إلى كشف الكثير من حجب الغيبي والإيمان النهائي بالكلي الأزلي صاحب الكون، من باب أنّ لكل شيء معرف صاحباً، فالعلم يؤدي إلى زيادة الثقة بالذات، وبما نريد الوصول إليه، لتمنحك اليقين، بأنك قادر على الوصول إلى اللا مرئي، ومنه يكون أنّ الإيمان الحقيقي هو إحساس عميق للقبول بشيء، أو رفضه، وفي كلتا الحالتين، أنت مؤمن، والبراهين عند العاقل كافية لإثبات الثوابت التاريخية، ونفي ما ينبغي نفيه، والمتحركات الجمالية والتأمل يأخذ بنا إلى إدراكها بسرعة فائقة، هل يعقل أن نؤمن بأنّ كل من ليس معي فهو ضدي؟ وإذا حدث هذا، أفلا نكون مجسدين للعنصرية والعنصرة والتعنصر على الآخر الذي كون رأياً، ومنه يتولد لدينا سؤال يتلوه وجوده فيما بيننا، ما معنى اليقين والمبادئ، والخير والشر، والعدالة والحرية، والمساواة بين الرجل والمرأة، والمساواة بين البشر، وتخفيف وطأة الفقر والمعاناة من القهر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني، بأديانه ومفاصله وتشعباته، وما معنى أنّ القائمين عليها مذ الموغل في القدم، تخصصوا فقط في مقتضياته، ولم يعملوا قط في مجالات البحث العلمي ومحاوره الفيزيائية والكيميائية والرياضية والفلسفية والهندسية، فكانوا على طرفي نقيض مما أوجدوه سابقاً، وتعلقوا به ضمن مسيرتهم، وغايتهم الحفاظ والانحصار من دون تطوير فيه فقط، وكما صاغه الأولون، لأنهم ليسوا بقادرين كعلماء أديان، أن يخوضوا تجربة ذرية ضمن مفاعل نووي، وكذلك هم علماء الذرة، ليس بإمكانهم القيام بتجاربهم ضمن معبد، أو كنيس، أو كنيسة، أو مسجد، فهذه التخصصات أوجدت الفواصل وإشارات الاستفهام حول الإثبات والنفي، الوجود وعدمه، الرفض والقبول للمسلمات والبحث فيها، حيث وصل الجميع من الآخر إلى الاقتناع بأنّ العلم والدين نظريتان، لا يمكن لأحدهما أن يثبت الآخر، ولديهما حقوق نقض بعضهما بعضاً، ولا ضير في ذلك، فراح كل واحد يعمل منهما بنفس الآخر، من دون رفض؛ بل بحث عن تكامل أخلاقي.

كم صعب بعد هذا الكم الهائل من التطور العودة إلى الوراء، كأن نقوم بعملية إثبات كروية الأرض ودورانها، وأن يكون هناك من يدعو لحرق أو سحل مكتشفيها، أو التصور بأننا مضطرون لإثبات الأفكار من أجل تحريرها، وصحيح أنّ حدوث عدم التطابق في الاستنتاجات من أجل نجاح عملية التمايز ووجود الصح والخطأ في العلم، كما في المقدس، يغني عمليات الاستمرار والإبداع التي تحضر من سواقي الينابيع النقية، وحتى إن لم تنجح في بلوغ أهدافها، إلا أنّ فوائدها مؤكدة في مسيرة حضورها، من خلال ضفتيها اللتين تستفيدان من مرور مياهها كثيراً، فأينما وجد الماء وجدت الحياة، بديهية أليس كذلك؟ فهل نعلم أن مياهنا تنفد؟ أجل نحن العرب مهددون بالزوال، إن بقينا هكذا عاملين على تهديد بعضنا بعضاً ضمن أزمات أخلاقية مرعبة، فها نحن منقسمون أكثر من أي وقت مررنا به؛ طوائف، مذاهب، عقائد، حتى في أحلك الظروف الماضية، لم نصل إلى ما نحن عليه، لا قيم ولا أفكار جديدة، تبني أو تهيئ لبناء قيم وأسس، يكون للقبول فيها حضور، ولا يكون للرفض اللا عاقل وجود، فإذا كنا حتى اللحظة، لم نستطع إيجاد برهان علمي على مناقشة وجود الله بشكل مادي، أو لا مادي، وطرح مفهوم الجنان بلغة فلسفية، وأنّ الجحيم يصنعه الإنسان بنفسه ولنفسه، وكذلك الإيمان الذي لا يحتاج أن يكون له أساس عاطفي لمعتقداتنا، لأنه يشكل الأحاسيس والمشاعر التي تمايز بين القبول والرفض، بين المقنع والساذج، كيف بنا حتى اللحظة نخوض غمار البحث في كل ذلك، ولا نبحث في أسس بنائنا العربي فكرياً، ودراسة هشاشته وبشاعة مشهده، وتحول إنسانه إلى إرهابي مكفّر للعالم أجمع، ناسياً أنه كفّر نفسه أولاً، وكفّر مجتمعه، وغدا مرفوضاً عالمياً، كيف بنا مرة ثانية لا نقوم بتشكيل طاولة نجلس إليها، نناقش ما نحن عليه بمصارحات وواقعية بعيداً عن الطوباوية والأنانية، بغاية الاستثمار أولاً، والاشتغال عليه كي يخرج إلى الحياة بقواه الفكرية التي تصنع له القوى المادية.

هل لدينا قيم؟ نقول نعم، فلا يوجد مجتمع ليس لديه قيم، إلا أنّ السؤال الذي يفرض حضوره، كم بقي لنا منها، وهل نحن مهددون فعلاً في وجودنا، أم إن قيمنا مهددة بالزوال نتاج تشتت أفكارنا، واتجاه جميعنا إلى الاقتتال، أو التصارع عليها، ومازلنا نبحث في إثبات من الأفضل، نحمل شعارات من دون فهم معانيها، أو آليات بنائها، إلا أننا مستعدون للانقضاض مباشرة على بعضنا بعضاً، وفي أي لحظة يهدم كل شيء، وتكون العودة إلى نقطة الصفر لدينا في ذلك، حيث لا قيمة للوقت ضمن الزمن المتطور.

القبول والرفض متلازمتان تسكنان فلسفة الحياة المنطقية، حيث يكون القبول خاضعاً لعلم المنطق وأدبيات الحياة، والرفض اللا عاقل يسكن سكون العقل، وعدم قدرته على التطور والانتقال نحو تحقيق الوجود.

د. نبيل طعمة

عاندوا المعاناة وتحدوا الصعاب وانطلقوا في ميدان الفن والثقافة

قدرة الجيش العربي السوري المتجددة على البذل والعطاء

بشر يازجي: ننحني أمام جراحكم ولن ننسى ما قدمتم

وائل العدس

تصوير طارق السعدوني

مقاومون افتدوا الوطن بأجزاء من جسدهم، هم شهداء ما زالوا أحياء يعيشون بيننا ويقاومون بجراحهم، بذلوا الغالي والنفيس لنحيا بكرامة، لكن القدر شاء أن يصطفيهم ليكملوا مسيرة المقاومة رغماً عن الجراح، ولكن على جبهات أخرى.

عاندوا المعاناة وتحدوا المصاعب وانطلقوا في ميدان الفن والثقافة كل حسب قدراته، فلا إعاقة صمدت في وجه مشروعهم ولا مرضاً، هم أناس آلوا على أنفسهم أن يقاوموا حتى الرمق الأخير، باختصار إنهم جرحى الجيش العربي السوري.

أمس، افتتحت جمعية «صامدون رغم الجراح» التي تعنى بالجرحى وذويهم من مدنيين وعسكريين معرضها الفني في قاعة المتنبي بفندق الداما روز بدمشق، ويستمر حتى يوم غد بالشراكة مع جمعية «ساعد».

وضم المعرض نحو ٢٠٠ قطعة من الأشغال اليدوية والتحف الفنية واللوحات الزيتية قام الجرحى من أعضاء الفريق باشتغالها من مواد الخشب والفخار والسيراميك، في تحد جديد لكل من يراهن على بأس الجندي العربي السوري وقدرته المتجددة على البذل والعطاء.

ويهدف المعرض إلى تسليط الضوء على الجندي الجريح والتضحيات التي قدمها ما يشكل حافزاً لبقية جرحى الجيش العربي السوري لمواصلة درب التضحية والعطاء رغم الإصابة التي لا تشكل عائقاً أمام متابعة النشاط الفكري والجسدي والمساهمة في تطوير المجتمع.

ولد هذا الفريق من رحم المعاناة والألم ليثبت للعالم أن أبطال الجيش العربي السوري لا يقهرون وأنهم على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم، وهذا المعرض هو خير دليل على ذلك، ومن خلال هذا المعرض يثبت هؤلاء الأبطال مرة ثانية قوة عزيمتهم التي لا تلين ولا تقهر وإصرارهم وحبهم للحياة.

وخلال الافتتاح كرمت الجمعية كلاً من: وزير السياحة، وائل بدين نائب وزير الشؤون الاجتماعية، معن عبود رئيس اتحاد شبيبة الثورة، إضافة إلى الفنانين دريد لحام، ونجدة أنزور، وتوفيق إسكندر، وزهير عبد الكريم، وعارف الطويل.

بلسم ومنارة

في كلمة له خلال حفل الافتتاح قال وزير السياحة المهندس بشر يازجي إن أجساد الجرحى والمصابين في معركة الدفاع عن الوطن تحمل أيقونات ساهمت في كتابة التاريخ، فكل جرح هو بلسم لجراح سورية والمنارة لنصرها، مضيفاً إن هؤلاء الأبطال رافقتهم الكرامة دوماً عندما كانوا في المعركة واليوم نجدهم متفانين ومبدعين ومتمسكين بالعطاء الذي يليق بسورية.

وقال إن مقاومة وصمود الشعب السوري هو قدر مكتوب، والسبب بلا شك أن من يحمي سورية ويصون ترابها هم رجال حقيقيون لا يعرفون المستحيل.

وأكد أن الوزارة تفتح أبوابها للمشاركة في أي مبادرة تخص الجرحى بهدف تدريبهم وتنمية مهاراتهم وتعزيز قدراتهم كعربون لتضحياتهم، كاشفاً عن العمل على إطلاق مبادرة تحت عنوان «جراحكم شفاء للوطن» نهاية آذار القادم بالتعاون مع بعض الجمعيات المعنية بجرحى الجيش والمنشآت السياحية حيث تقدم الوزارة برنامجاً سياحياً مخصصاً لهؤلاء الجرحى وتشمل نحو ١٥٠٠ جريح.

ووجه يازجي شكره للجرحى وقال لهم: ما قدمتموه استثنائياً بالعطاء واستمرارية العطاء، لأنكم كنتم هؤلاء الرجال الأبطال في الميدان ومازلتم مصرين على متابعة الدرب وحمل الراية، ولن ننسى ما قدمتم لأننا ندرك نبل الرسالة وسمو الهدف، وسنمضي على الطريق الذي مهدتم له، وإننا شركاء في تلك الرسالة وهذا يقتضي شراكة حقيقية في العمل، وختم: أنتم شركاء في جميع المبادرات التي سنطلقها في الفترة القادمة.. شكراً لأنكم هنا الآن، ننحني دوماً أمام جراحكم ونؤكد أنكم كنتم مشاريع شهادة واليوم أنتم مثال للتفاني بالعمل.

طريقة عفوية

الجريح العسكري عبد الكريم محمد أكد أن المبادرة تخص كل من أصيب عى أرض الوطن بسبب الأعمال الإرهابية من مدنيين وعسكريين.

وقال: كنا مجموعة من الجرحى لم نعد قادرين على القتال في أرض المعركة، ففكرنا في مساعدة إخوتنا الجرحى فانطلقنا بطريقة عفوية من خلال أعمال تزودنا بمردود مادي، فاتجهنا نحو الأشغال اليدوية، وأصبحنا نصنع القطع ونمنحها لمن يحب مقابل دواء مثلاً، ونحن راضون عما قدمناه.

صوت الجريح

بدوره الجريح العسكري ميسم الجردي بين أنه لم يتردد في المشاركة عندما طرحت الفكرة، قائلاً: نحن جرحى لكننا نريد العيش ولا نريد أن نتوقف عن العمل، لذلك ارتأينا أن نكون صوت الجريح، وصحيح أننا توقفنا عن حمل السلاح مجبرين بسبب الإصابة لكننا نقاوم على جبهات أخرى، فالإنسان يستطيع أن يحارب حتى بلسانه.

لا للاستسلام

الجريح العسكري حسن عبدان أكد أن كل أعضاء الفريق تعاونوا بشكل جماعي على إنجاز القطع بعيداً عن العمل الفردي بكل قوة وإرادة.

وقال: نحاول من خلال المعرض إيصال رسالتنا إلى الداخل والخارج بأننا شعب لا يتوقف ولا يستسلم مهما ألمّ به من إصابات، وسنستمر من دون أن يؤثر في عزيمتنا شيء لتبقى البسمة موجود على الشفاه.

سورية بخير

الجريحة المدنية روان يوسف أشارت إلى أنها تركت دراسة الطب البشري واتجهت نحو دراسة الأدب الفارسي بعد إصابتها وفقدان بصرها، وقالت: أشعر بالفخر بمشاركتي بهذا الحفل، ومادام جرحانا مازالوا أقوياء وقادرين على الإنتاج فسورية بألف خير وستعود أقوى مما كانت.

حرب وسلام

وقال العقيد ياسر الشاويش رئيس الجمعية: زرعنا أعضاءنا من أجل تراب سورية المقدس لينهض ياسمين النصر.

من جانبه بيّن عصام حبال رئيس مجلس إدارة جمعية «ساعد» التي ساهمت بتنظيم المعرض أن المعرض يتضمن زاويتين للحرب والسلام أنجز بهمة شباب أثبتوا أن مصاب الحرب يحاول بث الأمل رغم جراحه، مشيراً إلى أن فكرة جمعية صامدون دعم المصابين من مردود أعمال المتطوعين.

ألف تكريم

وقال دريد لحام إن هذا التكريم يعني لي الكثير، فعادة ما أكون فرحاً عند تكريمي، لكني اليوم أشعر بالخجل، لأننا نحن من يجب أن نكرمهم وليس العكس، لذا هذا التكريم بألف تكريم باعتباره صادر عن هؤلاء الصامدين رغم الجراح، ونحن إن كنا صامدين فبسبب تضحياتهم.

مقام الشهداء

أما توفيق إسكندر فقال: شُرفت اليوم بهذا التكريم، وأتمنى بكل صدق أن أبقى خادم بين أيديهم، هؤلاء الشهداء الأحياء الذين افتدوا الوطن الذي مازلنا نعيش فيه، لهم كل الحب والتقدير والاحترام، مقام هؤلاء مقام الشهداء، وتعجز الكلمات عن وصفهم، وما تزال رقبتي فداء لهذا الوطن.

وأضاف: الفنان إنسان لكنه ذو حساسية خاصة ومكانة بين الناس، ويجب عليه احترام قيمته التي صُبغت عليه، ويحافظ عليها بوجوده الإنساني على أقل تقدير.

الدفاع عن الوطن

بدوره أكد زهير عبد الكريم أنه تعرف على أعضاء الجمعية قبل انطلاق المعرض بزمن لا بأس به هو وزميله عارف الطويل، مبيناً أنه أحب الفكرة أن يخلق الشهداء الأحياء هذا المعرض وألا يحتاجوا أحداً وهم صامدون رغم الإصابات والعوائق الكبيرة، فهم توقفوا عن حمل البندقية ليدافعوا عن الوطن بالقلم والكلمة والرسم والثقافة.

استمرار

الجدير ذكره أن أول انطلاقة لفريق «صامدون رغم الجراح» كانت في شهر آب من العام الماضي وقد تم ترخيصه حالياً كجمعية تهتم بالجريح وأسرته.

والفريق مستمر بالعديد من النشاطات التي تهدف إلى ترسيخ مساهمة الجندي الجريح في المجتمع من جهة وتساهم في دعمه ومد يد العون له لتخطي المرحلة الصعبة التي يمر بها من جهة ثانية.

«الأجوبة المسكتة» بلاغةً وإفحاماً

إن الكريم إذا حاسب غريمه تفضّل عليه

إسماعيل مروة

الأجوبة المسكتة مبحث لغوي قديم في لغتنا، وكثيراً ما يردد المتخصصون مثل هذه الأجوبة الدالة على الذكاء والدهاء وحضور البديهة عند صانعها الأول، وعند مستعملها الذي رأى استحضارها بعد كل القرون التي مرت عليها، وهذه الأجوبة تحمل عدة احتمالات منها الإقناع والإمتاع، وهما احتمالان رجحتهما الدكتورة منيرة فاعور في كتابها وعلى غلافها، ومنها الإسكات والإفحام للخصم الذي تخاطبه، ولمن تجاوز الحد في أمر ما، فقمت بدور صعب هو إنهاء الحديث معه، وقد أفحمته، وهذا المبحث وإن حمل أكثر من اسم: الأجوبة المفحمة، الأجوبة المسكتة، فإن المؤلفة اختارت ما هو أقرب للناس وأكثر سيرورة (الأجوبة المسكتة) وهو الكتاب الصادر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

بين التراث والمعاصرة

إن علمية المؤلفة دفعتها إلى اختيار عنوان علمي، ولم تلجأ إلى تغيير المصطلحات، وعندما رأيت الكتاب أول مرة ظننته تحقيقاً لنص عن الأجوبة المسكتة، وهذا الفن لقي اهتماماً بالغاً في تراثنا، ثم ظننت أنه جمع للأجوبة المسكتة، خاصة أن أغلبها موجود في بطون الكتب، فقد أورد الأبشيهي في المستطرف طائفة، وكذلك فعل الجاحظ، ناهيك عن كتب اللغة والبلاغة، ولكن استعراض الكتاب، ومن ثم قراءته أظهر أن جهد المؤلفة لم يكن عادياً، فهي لم تحقق نصاً، ولم تجمع وحسب، وإنما قامت بعملية عسيرة، هي جمع هذه الأبواب، ومن ثم دراستها وتبويبها، والأكثر أهمية هو توظيف هذه الأجوبة المسكتة في حقل البلاغة والبيان، وهي الأستاذة المتخصصة في هذا الباب. وما يحمد هو الجهد الذي قدمته الدكتورة منيرة في هضم التراث، ومن ثم تقديمه بصورة مفهومة عصرية، وبذلك أصّلت للأجوبة المسكتة لغة وبلاغة، ولم تقصر دورها على البراعة اللغوية والطرافة المعنوية، فتحولت هذه الأجوبة إلى شاهد بلاغي ومتن لغوي.

دراسة وتصنيف وتحليل

جاء الكتاب في قسمين الأول كان نظرياً، فعرف الجواب المسكت، ورصد رحلته في كتب التراث، سواء كان ضمن كتب، أو في كتب مستقلة، وحددت الدكتورة خصائص الأجوبة المسكتة التي كانت: السرعة في الرد والارتجال، الإصابة في المعنى، الإيجاز في التعبير، حسن البيان، إفحام السائل وإسكاته، الوضوح، الغياب النسبي للتصوير، السيرورة. وعند كل خصيصة من الخصائص سردت الأمثلة والأجوبة، ثم أنهت الجانب النظري بقيمة الأجوبة المسكتة سياسياً وتاريخياً واجتماعياً وتربوياً ولغوياً وترويحياً.. وبعد هذه الجولة الغنية جاءت إلى حضورها في البلاغة، فتناولت حضورها في علم المعاني وأنواع الاستفهام فيها، ثم جاءت إلى البيان والكنايات والمحسنات المعنوية واللفظية، لتختم بحثها بنماذج من الأجوبة المسكتة محللة بلاغياً.

ومنذ البداية حددت الدكتورة منيرة أسباب تأليف كتاب في الأجوبة المسكتة فقالت: «لأنها تمثل لغة الشعب كله بجميع فئاته وطبقاته، فهم ضروب التفكير والتعبير، قوة إفحامها وإمتاعها وتوظيفها بلاغياً، تسلية القارئ ومؤانسته، توجيه الأنظار إلى غذاء الروح فيها.

> لنعمل على التراث ونعصرنه لا لنحياه بكل سلبياته وأبعاد الأجوبة المسكتة سياسياً وتاريخياً وادبياً

والجواب المسكت له تعاريف عدة نستخلصها مما وضعته المؤلفة: قول بليغ مرتجل، خلقته مناسبات خاصة، يرد بها على السائل لإفحامه بالجواب المسكت. ص١٧

أما غايتها فتتمثل في إقامة الحجة، ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي. ص٢٠

ولم تدّع الكاتبة التفرد، لذلك قدمت قائمة بأسماء الكتب المنفصلة التي خصها مؤلفوها للأجوبة المسكتة، وقائمة بالكتب التي حوت فصولاً منثورة منها.

ومن أمثلة الأجوبة المسكتة وتطبيقها بلاغياً:

١- الاستفهام بمعنى التحقير: «تكلم رجل عند معاوية فهذر، فلما أطال قال: أأسكت يا أمير المؤمنين؟ قال: وهل تكلمت؟».

٢- الاستفهام بمعنى التعجب: «قيل لمديني ما يمنعك من الغزو؟ قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أمضي إليه ركضاً؟».

٣- الطباق: «قيل لرجل: لم اخترت من هؤلاء الجواري أقبحهن؟ فقال: ليس الهوى نخاساً فيختار أثمنهن؟

٤- التعليل: «قيل لزاهد: كيف سنحت نفسك أن تترك الدنيا؟ قال: أيقنت أني أخرج منها كارهاً فأحببت أن أخرج منها طائعاً».

٥- السجع: «قيل لزاهد: كيف أصبحت؟ قال: نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا».

«قال الحجاج لأعرابي: أخطيب أنا؟ قال: نعم لولا أنك تكثر الرد، وتشير باليد، وتقول أما بعد».

أخيراً: وقفت عند (الأجوبة المسكتة) وسعدت بما قدمته الدكتورة منيرة فاعور لأهمية هذا النوع من الكلام، ولحاجتنا إليه، فهل يعقل أن يكون أجدادنا بهذه الروح القادرة على الإفحام بالأجوبة المسكتة، ونجد الكثير من الثرثرة في أدبنا شعراً ونثراً وكتابة؟! من الطبيعي أن تتطور ملكة الإجابات والكلام لدينا لتصبح شيئاً مختلفاً متقدماً عما كان في الماضي، فلماذا تراجعنا كل هذا التراجع؟!

المطلوب منا اليوم أن نعود إلى ما يصلح من تراثنا لقراءته والإفادة منه وتطويره وعصرنته، وألا نكتفي من التراث بالموروث الفكري إلا الجيد منه.

وأختم بجواب مسكت: «قيل لأعرابي: أما تخاف الحساب؟ قال: ومن يحاسبني يومئذ؟ قالوا: الله عز وجل، قال: إن الكريم إذا حاسب غريمه تفضل عليه».